مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تصدر عن
الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازةٌ من وزارة التّعليم العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السّنة الثالثة – العدد السابع
شهر شوال ١٤٣٩ هـ – حزيران ٢٠١٨م

النسق القيمي التكاملي،
أثره الإصلاحي
في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع
بحث في ضوء
عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)

The complementary value pattern its correctional effect in the level of behavioral self formation for the society

أ. م. د. ضياء عزيز الموسوي
قسم الدراسات القرآنية
جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

أ.م.د مكي فرحان كريم
قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية
جامعة القادسية/ كلية التربية

Dr. Diaa Aziz Al Moussawi, Associate professor.
Quran studies Department,
Islamic science college.

Dr. Maki Farhan Karim, Assocaiate professor
Quran studies and Islamic education
Department, college of Education,
Qadisiyah University.

ملخص البحث

ليس من السهل أنْ يتكامل البحث في الدين نفسه وقد تجسدت تكاملية هذا الدين في فكر الإمام علي (عليه السلام) وشخصيته، وتعددت الأبعاد المعرفية في هذه الشخصية، حتى باتت مادة خصبة للتنقيب في فكرها، والبحث في رؤيتها، وهي مؤسسة على أسس المدرسة الإلهية، منهجها القرآن الكريم، ومعلمها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، شخصية ربطت العلم بالعمل، عنايتها المطلقة الدين القيم، والإنسانية، والحياة الحرة الكريمة، والعدالة في الحكم... تفاعلت والواقع الاجتماعي بمجالاته المختلفة، فاقترنت شخصيته باسمه عالية -الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)- حتى أصبح رائد العدالة والإنسانية، وثبّت أسسها بعهده (لمالك الأشتر) وعدّه دستوراً لبناء المجتمع العادل، ينظم إدارة شؤون دولته، ويسهم في بناء منظومته القيمية السلوكية، وتشكيل ذاته، ليشعر حراً بعبوديته المطلقة لله تعالى وحده.

في ضوء هذه الإشارة المعرفية لشخصية الإمام علي (عليه السلام)، وأهمية ما تضمنه نصّ عهده المبارك، تولدت الفكرة الرئيسة لأهداف البحث، وهي معرفة النسق القيمي التكاملي في مضمون العهد، ومعرفة أثره الإيحائي الإصلاحي في مستوى تشكيل الذات السلوكية للمجتمع.

لذا قُسِّم البحث على مبحثين: تناول المبحث الأول، دراسة المداخل النظرية لمحددات البحث، وتناول المبحث الآخر دراسة العينة التطبيقية للبحث، وختم البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه واستنتاجاته.

Abstract

Research in the light of Imam Ali covenant (peace be upon him) to Malik Al-Ashtar (God rest his soul) its not easy to integrated the research in the religion it self and the complementary of this religion until be come was reflected in Imam Ali (peace be upon him) ideology and personality and knowledge dimensions have multiplied in this personality to become rich material to searching in its ideology and vision and it established on the basis of divine school its curriculum the holy Quran and its teacher is the greatest prophet (peace be upon him and his family) a personality linked science and work its all attention the religion humanity, a free and decent life and the justice in rule interacted with social reality and its various aspects so his personality had been accompanied by his name high personality-Imam Ali Ibn Abi-Talib (peace be upon him) with he become a pioneer in the justice and humanity and he based it by his covenant to Malik Al-Ashtar and he regarded it as a constitution for a just society it organized the running of this country and contribute to the building of its behavioral value system and him self formation to fell free in his slavery to Almighty Allah in the light of this knowledge reference to Imam Ali (peace be upon him) personality and the importance of what it contained the text of his blessing covenant the main thought of the research aims is born and it's the knowledge of the complementary value pattern in the content of the covenant and the knowledge of its evocative reform effect in the level of formation of behavioral self of the society.

So the research divided into two researches the first research deals with the study of conceptual entry points of the research determinants and the other research deals with the study of practical sample of research and the research ends with conclusion included its most important results and conclusions.

المبحث الأول

دراسة المداخل النظرية لمحددات البحث

تمثل المنظومة القيمية للإنسان مرجعيته المعيارية التي تنظم حياته وتحكم سلوكياته، وهي بالنتيجة تسهم في حفظ هوية المجتمع وتجانسه وتماسكه وترابطه، ولعل الاهتمام بالنسق القيمي ودراسته هو لما يحصل من تسارع في التغيير الثقافي وتأثيره في البناء المجتمعي، وكذلك انحلال التربية القيمية للفرد بصورة عامة.

إنّ القيم السائدة في هذه الأيام هي ليست نفسها القيم التي كانت سائدة في المجتمع منذ سنين أو عقود مضت، إذ إنّ تبدلاً كبيراً أصاب منظومات القيم اليوم، لاسيما مع تنامي موجات العولمة وما رافقها من تطورات هائلة في مجال المعلوماتية وما أحدثه ذلك من تأثير في النسيج الاجتماعي والثقافي للمجتمع بشكل عام، والنسق القيمي على وجه الخصوص؛ لأنّ القيم انعكاس لثقافة المجتمع من جهة، واحتكاك هذه الثقافة مع الثقافات الأخر من جهة أخرى؛ ولأنّ ثقافة مجتمعاتنا تتعرض أكثر فأكثر إلى تغيرات كبرى وهي عرضة للتآكل والانطمار؛ لأنّ ما يشهده العالم المعاصر هو محاولة سيطرة نمط واحد من الثقافة الطاغية وهو النمط السائد عند الدول المتقدمة، وهذا ما كانت حصيلته تَعرُّض الفرد للصراع بين القيم الموروثة والتقاليد المستوردة ما جعله يصاب بالحيرة والقلق[1].

إذ إنّ التغير الذي يطرأ على النسق القيمي المجتمعي اليوم هو التراجع الروحي في مقابل الإحباط والنفور والسخط المتولد عند الأفراد من مجموعة الظروف المحيطة بهم، وإنّ هذا التراجع من شأنه أن يجعل

منهم أشخاصاً حاملين لقيم متشددة متعصبة في ظل غياب مفهوم القيمة الروحية الحقيقية، أو قيماً مادية متدنية مثل: الرغبة في الثراء السريع، والرشوة، والوساطة. وبالرغم من أنّها قيمٌ سلبية إلّا أنّها تلبي الحاجة الملحّة لهم التي فرضها عليهم الواقع الاجتماعي الاقتصادي الذي يسيطر عليه النمط الاستهلاكي الناتج عن استيراد أنماط الحياة الغربية بمظاهرها السلبية، وغياب قيمة العمل والنمط الإنتاجي الحقيقي وأكثر من ذلك فقد لحظ عزوفاً عن كثيرٍ من القيم الإيجابية عند بعضٍ منهم، مثل قيم التعاون والتسامح، وحلّ بدلاً عنها تمسكهم بقشور القيم تاركين لجوهرها، إذ باتت مثل هذه القيم عبئاً عليهم في ظل سيطرة قيمٍ سلبيةٍ، غالباً ما تكون مادية، وهذا بمجمله يعني فكراً مضطرباً، ولأنّ القيم التي يتبناها الفرد لا تنشأ من فراغ، ولا هي مجردة مطلقة، ولا ثابتة ولا أبدية، بل هي جزء من الخبرة الإنسانية الواقعية، وجزء من حاجات الفرد، كما أنّ لها دوراً كبيراً في توجيه سلوكه، وتحديد العلاقة بينه وبين مجتمعه، وبالنتيجة فهي تؤثر على نوعية حياته، وإنّ مدى هذا التأثير يحدده عمق تبني الشخص لهذه القيم، فمدى عمق هذا التبني قد يكون تأثيره سلبي أو إيجابي على نمط حياته، وهذا يعود إلى نوع القيمة التي يتبناها الشخص والمفهوم المرتبط بها عنده، فهل هي قيم يغلب عليها الطابع المادي أو الطابع الروحي مثلاً، وقد أصبحت القيم ذات الطابع المادي هي الغالبة على قيم الأفراد[٢].

ولعل ذلك يشكل أحد الأسباب الرئيسة من أسباب اشكالية البحث، مما تطلّب بحث معالجاتها في ضوء عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر

(رحمه الله)، وهو اختيار تحددت فيه أكثر من سمة، منها: الذات الشخصية للإمام (عليه السلام)، والبعد الاستراتيجي للمعرفة بشكل عام في نصّ عهده المبارك، وشخصية مالك الأشتر (رحمه الله) التي تنماز بالنمط المطيع، وكذلك منها طبيعة الفرد وتأثره بالتطورات الثقافية المتسارعة المغرية التي تسير سلوكه ضمن إدارة غير صحيحة في تشكيل ذاته وتنظيمها، وتجعله مرتبكاً في إدارتها. إذ إنّ الطريقة المناسبة في إحداث تغيير في السلوك الإنساني هي أنْ يحدث التغيير في مفهوم الذات[٣]؛ لأنّ هذا المفهوم هو فكرة الفرد وعلاقته ببيئته، وإنّ الكيفية التي يدرك الفرد بها ذاته تؤثر في الطريقة التي يسلك بها، كما أنّ سلوكه يؤثر في الكيفية التي يدرك فيها ذاته[٤].

وبما أنّ الذات هي جزء من تشكل شخصية الفرد وبعد من أبعادها المهمة فإنّها العامل الأساسي المتفرد في التأثير على السلوك[٥].

فالذات هي الاتجاهات والأحكام والقيم التي يحملها الفرد بالنسبة لسلوكه وقدراته وقيمته بوصفه إنساناً[٦]. وهاهنا مصداق يتجسد في نمط ذات شخصية الإمام علي (عليه السلام) وهو نمط الشخصية العبقرية؛ «إنّه فتق أكثر من ثلاثين علماً، لم يعرفها المسلمون من قبل...»[٧].

وثابت هذا في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) **«أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها»**[٨]، ومفصح عنه بقوله (عليه السلام) **«علمني رسول الله ألفَ بابٍ من العلم ينفتح لي منها ألفُ باب...»**[٩]. ومن بين العلوم التي انفرد بها الإمام (عليه السلام) وضعه لأنظمة الحكم والإدارة في عهده لمالك الأشتر (رحمه الله)، فقد وضع فيه أدق أنظمة الحكم وأعمّها إصلاحاً لحياة الإنسان السياسية (والعامة)،

في مجتمع لم يفقه أي بند من أنظمة الحكم والإدارة، وقد شرّع الإمام (عليه السلام) أروع صور الحضارة، وأبهى ألوان التطور والتقدم الفكري[١٠].

وقد تجسد هذا الإصلاح الاجتماعي في نصّ عهده (عليه السلام) بالقيم التي ضمنها فيه –النص– وبالتحديد القيم السياسية؛ إذ يعبر عنها باهتمام الفرد بالنشاط السياسي، وتعني تحقيق أهداف الفرد في السيطرة والحكم والقوة كما يتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيم بالقيادة في نواحي الحياة المختلفة، ويتصفون بقدرتهم على توجيه غيرهم ويكون عادة من المشتغلين بالسياسة[١١].

إذ تتشكل في بنية النص المبارك دائرة من القيم التي بضمنها القيم السياسية وما تنتجه هذه القيم من دلالات ووظائف مختلفة ومتنوعة في ذهن الفرد يشكل بدوره سلوك ذاته، وينظم في ضوئها حياته الشخصية، متخذاً من تكاملها نسقاً قيمياً لضبط مركزه المحيطي والذاتي.

وهو –النسق القيمي– الذي عدّ (نظاماً في) إطار مرجعي للسلوك بين أولويات القيم، ينظم سلوك الفرد، ويأتي على قمة الإطار المرجعي العام لسلوك الفرد[١٢].

المبحث الثاني

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، أمثلة تطبيقية

يوثق الخطاب التوجيهي للإمام علي (عليه السلام)، في نصه المبارك الأطر المنهجية للنصوص القرآنية، ويرسمها على شكل نسق قيمي تكاملي يوضح عن طريقه صورة الذات الإلهية وانطباعها في ذهن الفرد، ليتمثل قيم هذه الصورة بأبعادها وصفاتها، واسمائها الخالصة، لتصبح سلوكاً، وفكراً، وكينونة، وهدفاً، ومنهجاً، يحدد مسالك طرق حياته العامة

والخاصة، وبالنتيجة تتشكل عند تمثلها الذات السلوكية للمجتمع، إذ إنّ ذات الخطاب يعُظِّم هذه القيم بنسق ترابطي يبين أهميتها وفاعليتها الاجتماعية، فقد افتتح عهده (عليه السلام)، بالأمر والتذكير بتقوى الله تعالى واتباع أوامره، والالتزام بنواهيه، وهذا واضح في قوله (عليه السلام): «أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ؛ فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ. ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ؛ وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ. فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ»[١٣].

حينما ننقب في متن هذ المقطوعة من نص عهد الإمام (عليه السلام)، نلحظ أنّ مفهوم (التقوى) أخذ الموقع الأصل في متن الحديث؛ وهو يشكل القيمة الأساس التي تستند (عليها) وترتبط (بها) وتتكامل (معها) القيم الأخرى مشكلة نسقاً قيمياً في بنية نص العهد المبارك، قدمها بصيغة الأمر (لمالك الأشتر رحمه الله)، فقد أمره بأوامر خمسة أولها إصلاح نفسه، العامل الأهم في تقوى الله تعالى- أحد هذه الأوامر- فهو القائل (عليه السلام) «فمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى

قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ- وَفَازَ عَمَلُه»[١٤]؛ أي من اتّقى تقوى حقيقة برزت مودته؛ أي ظهرت عليه آثار الرحمة الإلهيّة في السكينة والوقار والحلم والأناة عن التسرّع إلى مطالب الدنيا، وعلمت راحته في الآخرة، وفاز عمله فيها بالجزاء الأوفى. ثمّ أمرهم بإحكام التقوى؛ أي أنْ تتّقوا الله تقوى حقيقيّة فإنّها الّتي يستحقّ بها الثواب الدائم، وأنْ يعملوا للجنّة عملها الّتي تستحقّ به[١٥].

فهذا هو سياق القرآن الكريم الذي أوصى عباده بالتقوى فقال تعالى ﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا الله وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ الله غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[١٦]؛ والمعنى «جُعل الأمر بالتقوى وصيةً؛ لأنّ الوصية قول فيه أمرٌ بشيء نافع جامع لخير كثير، فلذلك كان الشأن في الوصية إيجاز القول؛ لأنّها يقصد منها وعي السامع، واستحضاره كلمة الوصية في سائر أحواله، والتقوى تجمع الخيرات؛ لأنّها امتثال الأوامر واجتناب المناهي. والتقوى المأمور بها هنا منظور فيها إلى أساسها وهو الإيمان بالله ورسله. وبيَّن بها عدم حاجته تعالى إلى تقوى الناس، ولكنّها لصلاح أنفسهم...»[١٧].

فالتقوى قيمة ضابطة لقيمة العمل، كما أنّها قيمة موجبة تقع على رأس منظومة القيم، على اعتبار أنّ سيادة التقوى في أعمال المسلمين يؤدي إلى صلاح أحوال المجتمع[١٨].

والثاني: اتّباع أوامره في كتابه من فرائضه وسننه، ورغّب في ذلك بقوله: لا يسعد... إلى قوله: إضاعتها. وتكرّر بيان ذلك[١٩].

فالطاعة هي القيمة المشار إليها باتباع الأوامر؛ إذ إنّ عبادة الله تعالى تتكامل بها، في اتباع لأوامره،

واجتناب لنواهيه، عملاً خالصاً نابعاً من الذات، كما أنها حق من حقوق الله تعالى على البشر، فمن يطع الله تعالى ورسوله يغدق عليه بنعمه ففي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[٢٠]؛ بمعنى إنّ الطاعة لازمة من لوازم «صلاح النفس والذات»[٢١]، ومقام المطيعين عند الله تعالى مقام النبين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم «منزلون منزلتهم عند الله أي بحكم منه لهم أجرهم ونورهم»[٢٢].

وقد ساق الإمام علي (عليه السلام) في موقع آخر من خطبه جاعلاً من الطاعة بأنّها حق من حقوق الله تعالى، بقوله: «...وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ- وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ- تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ... فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ- وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ...»[٢٣].

«...بيّن فيها أنّ حقوق الخلق بعضهم على بعض من حقّ الله تعالى من حيث إنّ حقّه على عباده هو الطاعة، و أداء تلك الحقوق طاعات لله كحقّ الوالد على ولده وبالعكس، وحقّ الزوج على الزوجة، وحقّ الوالي على الرعيّة وبالعكس. فصلاح حال الولاة منوط بصلاح الرعيّة واستقامتهم في طاعتهم، وفساد أحوالهم بعصيانهم ومخالفتهم. فإذا أدّى كلّ من الوالي والرعيّة الحقّ إلى صاحبه عزّ الحقّ بينهم ولم يكن له مخالف[٢٤].

والثالث: أنْ ينصر اللهّ سبحانه بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدوّ. وإنكار المنكرات. رغّب في ذلك بقوله: قد تكفّل. إلى قوله: أعزّه[٢٥].

كقوله تعالى ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾.

فقد قرن الإمام (عليه السلام) قيمة النصر بقيمة الجهاد، ووظيفة الخاصة وهي (مجاهدة العدو– الخروج عن دين الله وطاعته)، وقد استشهد بقوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصرْكُمْ وَ يُثَبِّت أَقْدَامَكمْ﴾[٢٦]؛ وهو «تحضيض لهم على الجهاد ووعد لهم بالنصر إنْ نصروا الله تعالى فالمراد بنصرهم لله أنْ يجاهدوا في سبيل الله على أنْ يقاتلوا لوجه الله تأييداً لدينه وإعلاء لكلمة الحق لا ليستعلوا في الأرض أو ليصيبوا غنيمة أو ليظهروا نجده وشجاعة»[٢٧].

ووظيفته العامة وهي (مجاهدة النفس)؛ بدليل قوله (عليه السلام) «يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ...فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ».

وقد ذكر الجهاد بتعدد وظائفه في موقع مهم في خطبه (عليه السلام) وأسنده إلى التقوى، وجعله باباً من أبواب الجنة، إذ قال: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ- فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى- وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ»[٢٨].

«وبيانه أنّ الجهاد تارة يراد به جهاد العدوّ الظاهر كما هو الظاهر هاهنا، وتارة يعنى به جهاد العدوّ الخفي وهو النفس الأمارة بالسوء.

وكلاهما بابان من أبواب الجنّة، والثاني منهما مراد بواسطة الأوّل إذ هو لازمة له؛ وذلك أنّك علمت أنّ لقاء الله سبحانه ومشاهدة حضرة الربوبيّة هي ثمرة الخلقة وغاية سَعْي عباد الله الأبرار، ثمّ. قد ثبت بالضرورة من دين محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ الجهاد أحد العبادات الخمس، وثبت أيضا في علم السلوك إلى الله أنّ العبادات الشرعيّة هي المتمّة والمعينة على تطويع النفس الأمّارة بالسوء للنفس المطمئنّة، وأنّ التطويع كيف

يكون وسيلة إلى الجنّة الّتي وعد المتّقون»[٢٩].

وفي مجاهدة النفس فقد انطلق الإمام (عليه السلام) من المصدر الأصل وهو القرآن الكريم، لتبيان الوظيفة الذاتية في قيمة الجهاد مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣٠]؛ «أي إنّ النفس بطبعها تدعو إلى مشتهياتها من السيئات على كثرتها ووفورها فمن الجهل أنْ تبرأ من الميل إلى السوء، وإنّما تكف عن أمرها بالسوء ودعوتها إلى الشر برحمة من الله سبحانه تصرفها عن السوء وتوفقها لصالح العمل»[٣١].

وتتكامل الوظيفة الجهادية ضمن النسق القيمي في الأمر الرابع، أنْ يكسر من نفسه عند الشهوات. وهو أمر بفضيلة العفّة[٣٢].

فالعفة؛ قيمة تطلق على معنيين عام وخاص، فالعام هو ضبط النفس في مقابل الرغبات والميول النفسانية والإفراط في اتباعها، وأمّا الخاص هو ضبط النفس في مقابل متطلبات الغريزة الجنسية والتحلل الأخلاقي[٣٣].

وفي حديث للإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) «**ما من شيءٍ أحب إلى الله بعد معرفته من عفة بطن وفرج، وما من شيء أحب إلى الله من أن يُسأل**»[٣٤].

بمعنى إنّ العفة مانعة من وجود السبب المزاحم، والسبب المزاحم أشدُّ تأثيراً من السبب المعد دائماً، وفي الأمور المعنوية كذلك، فإنَّ الإنسان الذي يأتي بالعبادات كثيراً ولكنه في الوقت نفسه يُدخل على قلبِهِ وروحِهِ الذنب والمعصية فهنا لن يكون لعباداته أي أثرٍ، بخلاف ما إذا لم يدنس القلب شيءٌ من الذنوب؛ فإنَّ فطرته الإلهية سوف تهديه إلى الرشد والكمال[٣٥]. فالعفة

هي السمو والترفع عن ملذات الدنيا وترك شهواتها، وهذا هو هدفها الأصل.

والأمر الخامس: أنْ يكفّها ويقاومها عند الجمحات. وهو أمر بفضيلة الصبر عن اتّباع الهوى وهو فضيلة تحت العفّة، وحذّر من النفس[٣٦] (بدليل الآية المباركة).

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[٣٧]. فالصبر قيمة تعبر عن قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامر ونواهي، وهو دليل رجاحة العقل، وسعة الأفق، وسمو الخلق، وعظمة البطولة والجَلَد، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه، وسبب الظفر والنجاح، والدرع الواقي من شماتة الأعداء والحسّاد[٣٨].

والصبر ضربان: إما أن يكون بدنياً، وإما نفسياً، فأما البدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها، وكتعاطي الأعمال الشاقة، وأما النفسي فيكون عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى، ثم إن هذا الضرب إن كان صبراً على شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه، اختلفت تسمياته عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر، فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع، وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرهما.

وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس، وتضاده حالة تسمى البطر، وإن كان في حربٍ ومقاتلةٍ سمي شجاعةً ويضاده الجبن، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده التذمر. وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص،

وإن كان صبراً عن قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشر[٣٩].

وقد ذكر الإمام (عليه السلام) الصبر بقوله: «رَحِمَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى،... جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، والتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ...»[٤٠].

فـ(الصبر) قيمة خلقية ومظهر من مظاهر الشخصية الإنسانية المؤمنة، تُعرف به حقيقة الإيمان وحسن اليقين بالله، والصبر والتقوى في الإسلام صنوان لا يفترقان، أحدهما منوط بالآخر لا يتم كلٌّ واحد منهما إلا بصاحبه، فمن كانت التقوى مقامه كان الصبر حاله، ومن هنا يكون الصبر أفضل الأحوال من حيث كانت التقوى أعلى المقامات، إذ الأتقى هو الأكرم عند الله تعالى، والأكرم على الله تعالى هو الأفضل، وإنْ كان كل شيء به وكل عمل صالح له ولا يصف الله تعالى عبداً ولا يثني عليه حتى يبتليه، فإن صبر وخرج من البلاء سلياً مدحه ووصفه وإلّا بين له كذبه ودعواه[٤١].

فقد تجسدت وصية الإمام علي (عليه السلام) في عهده المبارك لمالك الأشتر (رحمه الله) بدعوته إلى الشجاعة والجرأة والعمل بما فيه خير وتحمل الداء وعدم الاستنامة إليه، والصبر بمراتبه، وإخفاء الزهد، أي الزهد في سبيل التظاهر والزهد في القلب مع مواصلة العمل والجهاد، ونهيه عن الإعجاب بالنفس وحب الثناء، ولا تعرض نفسك للهلاك إلّا أنْ تقضي غاية سامية وضرورة لازمة، فإنه أدخل في نطاق المعاملة النفسية، كل هذه العهود يتناولها الإنسان بينه وبين نفسه، وبين نفسه وبين الآخر[٤٢].

فقد تجسدت تكاملية القيم بشكلها النسقي والترابطي بحسب أهميتها في هذه المقطوعة من نص العهد المبارك

للإمام علي (عليه السلام) بصورة خطاب رسم عن طريقه لوحة الإدارة والحاكمية (لمالك الأشتر رحمه الله) وتطبيقها بمعية رعيته فيما إذا حصل الاستعداد الذاتي من الرعية، وإظهار هذه القيمة لهم في سلوك حكمه تمثلاً ذاتياً لمنهج القرآن الكريم، ولا مصطنعاً بحسب الرغبة واللذة والشهوة. وجعل هذه القيم مركزاً مهماً للتنشأة الاجتماعية حصيلتها أنْ يتمثلها الفرد لتصبح منهجه في تشكيل ذاته السلوكية في المجتمع. لأنّ القيم تعد من أهم موجهات السلوك الإنساني وهي ضوابط اجتماعية تضبط السلوك المرغوب والسلوك غير المرغوب[٤٣]، إذ إنّ الوعي بقيمة الأشياء هو بمثابة رد فعل إنساني أو حركة تبادلية بين عالم الأشياء ووجودها الواقعي من جهة، وبين عالم الذات وظروفها الاجتماعية من جهة أخرى[٤٤]. وهذا ما خاطب به الإمام (عليه السلام) العام من الناس بالخاص منهم متمثلاً بشخص مالك الأشتر (رحمه الله) بتقبل القيم وتمثلها والعمل بمضمونها في الحياة العامة والخاصة.

الخاتمة (أهم النتائج والاستنتاجات)

١. جسد الإمام علي (عليه السلام) منظومة القيم الإلهية بنسق منتظم مترابط الوظيفة والأهمية، في منهج سياسته وإدارته في توعية المجتمع وإصلاحه، عن طريق ما تضمنه عهده إلى مالك الأشتر (رحمه الله).

٢. اتسمت القيم المتضمنة في وثيقة العهد المبارك بشمولية النسق من جهة زمكانيتها، وأهدافها، ووظائفها، وتحفيز الدافع نحوها؛ لما يحمله النص من بلاغة عالية وأسلوب يحاكي الوجدان، وينشط الذاكرة الإدراكية للفرد بإعادة بناء شخصيته وتشكلها ذاتياً.

٣. تتضح أهمية النسق القيمي في نص

العهد المبارك للفرد في استعداده على تهيأة التقنية المناسبة في تقبل القيمة وتمثلها، وجعلها أداة مساعدة في إدارة حياته العامة والخاصة.

٤. التقوى، والطاعة، والجهاد، والعفة، والصبر، صفات عليا جعلها الله من عزم الأمور، وأضاف إليها في القرآن الكريم أكثر الدرجات وأكبرها، وأعلى المراتب وأسماها، وجعلها صفات منتجة دائماً.

٥. تعد شخصية الإمام علي (عليه السلام) هي المصدر الحقيقي الصادق لقيم القرآن الكريم؛ وهذا ما تضمنه نص عهده المبارك، من منهج فكري، وعلمي، ودستوري، وعلمي، وتربوي، يتمثله (العام/ الخاص)، (المسلم/ غير المسلم) في كل مكان وزمان.

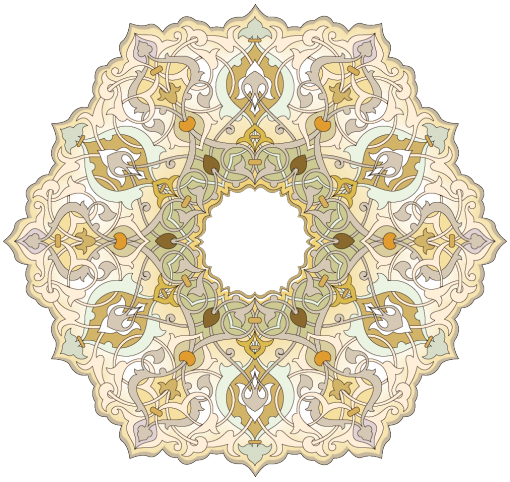

الهوامش:

١. ينظر: الزيود، ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير، ط ١، الأردن، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦. ص٤٦.

٢. عبود، ضحى، وبشرى نبيل خليل، النسق القيمي وعلاقته بالقلق لدى عينة من طلبة جامعة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية- سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية (المجلد ٦٣) (العدد ٣)، ٢٠١٤. ص١٣٥- ١٣٦.

٣. حامد زهران، ١٩٩٠، ص٢٩١.

٤. صالح ابو جادو، ١٩٩٨، ص ١٥١.

٥. نعيمة الشماع، ١٩٧٧، ص ١٨٥.

٦. من رسالة مفهوم الذات ص ٧.

٧. العقاد، عبقرية الإمام علي (عليه السلام).

٨. مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أبن المغازلي الشافعي: ١٠١.

٩. الاختصاص، الشيخ المفيد: ٢٨٣.

١٠. القرشي، باقر شريف، شرح العهد الدولي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط١، ستارة للطباعة، النجف الأشرف، د. ت.

١١. زهران ص١٢٥.

12. Kitwood 1976, p. 227.

١٣. شرح نهج البلاغة، ج٥، ص ١٣٥.

١٤. نفسه، ج٣، ص ١٥١.

١٥. شرح نهج البلاغة. مصدر سابق.ج٣، ص ١٥٣.

١٦. النساء/ ١٣١.

١٧. تفسير ابن عاشور، ص ٩٩.

١٨. في فلسفة التربية، نظريا وتطبيقيا، أحمد علي محمد، المنهل، ٢٠١٤. ص١٣٠.

١٩. شرح نهج البلاغة. مصدر سابق. ج٥، ص ١٣٥.

٢٠. النساء/ ٦٩.

٢١. تفسير الميزان، الطباطبائي، ج١، ص ١٧٦.

٢٢. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج١٩، ص ٨٨.

٢٣. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج٤، ص ٣٩.

٢٤. نفسه، ج٤، ص٤٣- ٤٤.

٢٥. نفسه، ج ٥، ص ١٣٦.

٢٦. محمد/ ٧.

٢٧. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج١٨، ص ١٢٠.

٢٨. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج ٢، ص ٣٠.

٢٩. نفسه، ج٢، ص ٣٣.

٣٠. يوسف/ ٣٥.

٣١. تفسير الميزان. مصدر سابق. ج١١، ص ١٠٦.

٣٢. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج ٥، ص ٣٦.

٣٣. الأخلاق في القرآن ج٢: ٢٥٩.

٣٤ تحف العقول: ٢٨٢.

٣٥. العفة القرآنية. سورة يوسف مثالاً، جعفر علي المالكي، مجلة رسالة القلم- العدد ٢٧- ٧ رجب ١٤٣٢هـ (https://www.olamaa.cc/).

٣٦. شرح نهج البلاغة (ابن ميثم)، ج ٥، ص ٣٦.

٣٧. الكهف: ٢٨.

٣٨. ينظر: مفردات غريب القرآن: ٢٧٣.

٣٩. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤. ج٤، ص١٠٤.

٤٠. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٦، ص ١٧٣.

٤١. قوت القلوب في معاملة المحبوب: أبو طالب المكي: ١/ ٣٣١.

٤٢. الأغراض الاجتماعية في نهج البلاغة، محسن الأمين، ط٢، مؤسسة البلاغ، ١٩٨٧.

٤٣. سيف الإسلام على مطر، التغير الاجتماعى، ط٢ (المنصورة دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٨) ص ٧٩.

٤٤. قبارى محمد إسماعيل، قضايا علم الأخلاق، مرجع سابق، ص ٧٧.

المصادر

القرآن الكريم

١. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ٢٠٠٨.

٢. أبو جادو، صالح محمد، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط١، دار المسيرة، عمان، ١٨٨٩.

٣. الأمين، محسن، الاغراض الاجتماعية في نهج البلاغة، ط٢، مؤسسة البلاغ، ١٩٨٧.

٤. البحراني، العلامة كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم، شرح نهج البلاغة، ط١، منشورات دار الثقلين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩.

٥. تفسير الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، صححه وأشرف على طباعته: الشيخ حسين الاعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، طبعة١ محققة، ١٩٩٧.

٦. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، انتشارات الإسلامية، ١٣٨٤ هـ. ق.

٧. الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن: تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.

٨. زهران، حامد عبدالسلام، علم نفس النمو، «الطفولة والمراهقة»، ط٥، علم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠.

٩. الزيود، ماجد، الشباب والقيم في عالم متغير، ط ١، الأردن، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٦.

١٠. سيف الإسلام، علي مطر، التغير الاجتماعى، ط٢، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ١٩٨٨.

١١. الشماع، نعيمة، الشخصية النظرية والتقييم مناهج البحث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧.

١٢. الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم (دام ظلّه العالي) بالتعاون مع مجموعة من الفضلاء، الأخلاق في القرآن، مدرسة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).د. ت.

١٣. عبد الله، نبوية لطفي، مفهوم الذات لدى الاطفال المحرومين من الأم دراسة مقارنة، جامعة عين شمس، مصر، ٢٠٠٠.

١٤. عبود، ضحى، وبشرى نبيل خليل، النسق القيمي وعلاقته بالقلق لدى عينة من طلبة جامعة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية- سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية (المجلد٦٣) (العدد٣)، ٢٠١٤.

١٥. العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي (عليه السلام) المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر، ١٩٤٩.

١٦. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٤.

١٦. القرشي، باقر شريف، شرح العهد الدولي للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، ط١، ستارة للطباعة، النجف الأشرف، د. ت.

١٧. المالكي، جعفر علي، العفة القرآنية. سورة

يوسف مثالاً، مجلة رسالة القلم– العدد ٢٧– ٧ رجب ١٤٣٢هـ (https://www.olamaa.cc).

١٨. محمد، أحمد علي، في فلسفة التربية، نظريا وتطبيقيا، المنهل، ٢٠١٤.

١٩. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ط٢، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت، ٢٠٠٧.

٢٠. المغازلي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، علي بن محمد بن محمد بن الطيب، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [عليه السلام]،المحقق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، ط١، دار الآثار، صنعاء، ٢٠٠٣.

٢١. المفيد، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، ،ط١، نشر وتحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، د. ت.

٢٢. المكي، أبو طالب (ت٣٨٦هـ)، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، ط١، دار العلوم، القاهرة، ٢٠٠١.